

## الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب - رؤية تأصيلية -

د. علي بن العجمي العشي

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة العلوم والتكنولوجيا باليمن

### مقدمة:

هذا البحث محاولة تأصيلية لموضوع تتعاضم الحاجة إلى فهمه، واستيعابه يوماً إثر يوم إذ تحتاج الأمة ابتداءً إلى إشاعة ثقافة الحوار فيما بينها سعياً للنجاح في الحوار مع الآخر

فينطلق الحوار مع الذات ليتسع فيشمل الحوار مع الأسرة، والمجتمع، والأمة لينتهي بالحوار مع المخالفين أو ما اصطلح عليه بالآخر. ويكون من فضول القول أن يتأسس هذا الحوار على قواعد راسخة يتم تصويبها وإيضاح شروطها وأدواتها وأخلاقياتها مع بيان لموضوعات الحوار حتى لا يكون جديلاً لا طائل من ورائه

إنني أعرض في هذا البحث للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، رداً على أطروحة صدام الحضارات، أو صراعها تلك التي لمعت أسماء الدعاة والمنظرين لها من أمثال المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما الذي بشر ((بنهاية التاريخ))، والانتصار النهائي للنسق الغربي، أو صامويل ب هيننتجتون الذي حذر من خطر الإسلام، ووضع نظرية عن صدام الحضارات بدلاً عن نظرية فوكوياما عن نهاية التاريخ، ومن ثم نهاية الصراعات، وبديلاً عن النظرية الماركسية المادية عن صراع الطبقات

ولا شك أن الحوار تقليد حضاري، وفعل ثقافي رفيع مورس بين بني البشر في كل العصور، في أزمنة الحرب والسلم، بين المنتصرين والمنهزمين، ولا شك أيضاً

أن ما من حضارة بنيت على الإقصاء، وإنما لا بد أن تكون لديها القابلية للحوار مع الآخر المخالف

ولعل رسالة الإسلام الخالدة هي من أكثر الرسائل دعوة للحوار، والتعارف، والتفاهم ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات 13].

إن الحوار هو السبيل الصحيح، والبديل الأفضل لكل أنماط النزاع القائم على ضروب الكراهية والتعصب والعنف إن ثقافة الحوار تعلي من قيم التسامح، وتحترم مبادئ كرامة الإنسان، وحرية في الاختيار، وتقبل مبدأ الحوار بديلاً عن الهيمنة، والعنصرية، ونفي الآخر ولا شك أن الحوار بين المسلمين والمسيحيين يمكن أن يتخذ اتجاهين رئيسين هما

- (1) جانب العقيدة وما تشمله من مسائل كالنظرة إلى المسيح عليه السلام، ومسألة النبوة، ومصادر العقيدة عندنا وعندهم، وما يتصل بهذه المسائل من قضايا كالصلب، والفداء، والدينونة والعشاء الرباني، وغيرها من المفاهيم اللاهوتية المسيحية
- (2) جانب واقعي يتمثل في الحوار في مسألة التبشير عند النصارى أو الدعوة عند المسلمين، فضلاً عن القضايا السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية المختلفة.

بقيت ملاحظة مهمة تجدر الإشارة إليها، وهي أن الدعوة إلى الحوار مع أهل الكتاب التي نتبناها في هذا البحث، تختلف اختلافاً جذرياً عن الدعوة إلى التقارب بين الأديان أو الدعوة إلى وحدة الأديان التي وقع في الدعوة إليها بعض من لا قدم له راسخة في فهم الإسلام، إذ إن أمثال هذه الدعوات تصطدم بلا شك مع أصولنا العقدية

## مفهوم الحوار:

يحسن بنا في صدر هذا البحث أن نحدّد مفهوم الحوار ذلك ((أن أكثر ما يضرّ بثقافتنا ويشيع البلبلة بيننا هو اختلاط المفاهيم واضطراب الدلالات بترك بعض الألفاظ المهمة التي لها قوة المصطلحات مائعة رجراجة دون ضبط ولا تحديد لدلولاتها ليغير من شاء كما يشاء))<sup>(1)</sup>.

## مفهوم الحوار لغة

الحوار من الفعل ((حَوَّرَ)) والحوار كما يعرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي ((الرجوع إلى الشيء وعنه والمحاورة مراجعة الكلام وحاورت فلاناً في المنطق وأحرت إليه جواباً وما أحرار بكلمة))<sup>(2)</sup>.

وتابعه ابن منظور فقد جاء في لسان العرب ((الحَوْرُ الرجوع عن الشيء وإلى الشيء قال كَلَّمْتَهُ فما رجع إليّ حوراً وحواراً ومحاورةً وحويراً أي جواباً. والمحاورة المجاورة، والتحاوّر التجاوب وهم يتحاوّن أي يتراجعون والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة))<sup>(3)</sup> وهو ما قرره أيضاً الفيروزآبادي<sup>(4)</sup>. وقد جعل من قبل ابن فارس مادة الحوار ثلاثة أصول وجعل أحدها بمعنى الرجوع<sup>(5)</sup>.

(□) القرضاوي، د. يوسف "الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مجلة المسلم المعاصر، العدد (3)، رجب 1395هـ، يونيو 1975م، ص: 49.

(□) الفراهيدي، الخليل بن أحمد معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهلال، القاهرة، دت

(□) ابن منظور، جمال الدين (ت711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، 217/4 - 219.

(□) الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ) القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، دت، باب حور، 16/2.

(□) ابن فارس، أبو الحسن (ت395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، 115/2.

وفي مجمع البحرين ((يحاوِّره أي يخاطبه والتحاوّر التجاوب يقال تحاور الرجلان إذا ردّ كل منهما على صاحبه ومنه ناظرته وحاوِّرته))<sup>(6)</sup>.  
والخلاصة أن الحوار يدل على تبادل الكلام بين الطرفين بحيث أن أحدهما يكلم صاحبه وينتظر منه الرد وهو ما ورد في أغلب معاجم اللغة وكتبها<sup>(7)</sup>.

### التعريف الاصطلاحي للحوار:

- بمقدورنا الآن بعد أن أوردنا المعاني اللغوية لمصطلح ((الحوار)) أن نحدد دلالاته الاصطلاحية عند المُحدِّثين إذ يعرف بأنه:
- 1 ((تبادل الحديث))<sup>(8)</sup>.
  - 2 ((الكلام المتبادل بين طرفين))<sup>(9)</sup>.
  - 3 ((الكلام وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى الحقيقة))<sup>(10)</sup>.

وبعد إيراد هذه التعريفات نخلص إلى تعريف مقترح للحوار فنقول

(□) الطريحي، فخر الدين مجمع البحرين، دار الهلال، القاهرة، دت، 3/289.

(□) لمزيد الفائدة يمكن الرجوع إلى

❖ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 383هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/3، 1984م، 2/639.

❖ الزمخشري، أبو القاسم جار الله (ت 538هـ) أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/3، 1985م، 1/315.

❖ الرازي، محمد بن أبي بكر (ت 660هـ) مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، دت، ص161.

❖ الشيباني، أبو عمر كتاب الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطابع الأميرية، القاهرة، 1974م، 1/161.

(□) يعقوب، إميل قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط/1، 1978م، ص189.

(□) حفني، عبد الحليم، أسلوب المحاور في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/3، 1995م، ص12.

(□□) الخياط، عبد العزيز أدب الحوار، دار المجد، جدة، ط/2، دت، ص:11.

((الحوار هو تردد الكلام أو ما يقوم مقامه بين المتخاطبين على وجه المراجعة في القول وانتظار الجواب للوصول إلى الحقيقة)).

## الحوار والجدل في القرآن الكريم:

لم تأت كلمة "الحوار" في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع هني

1 قوله تعالى ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف 34].

2 قوله تعالى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

3 وقوله تعالى أيضاً ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1].

أما كلمة الجدل فقد وردت (29 مرة) في القرآن منها

1 قال تعالى ﴿قَالُوا يَنْتُحُونَ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدْلَانَا﴾ [هود 32].

2 قال تعالى ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر 5].

3 ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء 107].

4 ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت 46].

5 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج 8].

حتى أن الله جعل صفة الجدل صفة ملازمة للإنسان فقال

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف 54].

ومن الواضح أن هناك فارقاً بين معنى كل من الكلمتين

- فكلمة الحوار تتسع لكل أساليب التخاطب، سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحى بالخلاف أو يوحى به

- بينما كلمة (الجدال) تختزن في داخلها معنى الخلاف والشجار، وتحمل في عمقها أيضاً معنى التحدي والصراع<sup>(11)</sup>، لذلك كان التصنيف القرآني المتوازن:

1) جدال بالتي هي أحسن 2) جدال بغير التي هي أحسن  
وعلى هذا الأساس أقول ربما كانت كلمة الحوار تضيف جواً يلطف من الخلاف، بينما الجدال يعبر عن حركة الصراع والجدلية، جدلية الإنسان في حركة فكره وعاطفته، وهذا مما يعطيه معنى الحيوية والفعالية في وجوده، وانطلاقاً من هذا كان الإسلام واقعياً في أسلوب مواجهة هذه الجدلية في الإنسان بأن وضع للجدل شرط أن يكون بالتي هي أحسن، وكانت نتيجة لذلك التصنيف المتوازن<sup>(12)</sup>.

غير أن الملاحظ أن الله تعالى سمى المجادلة حواراً كما في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة 1] وبالتالي في مصطلحي الحوار والجدال نجد أنهما يلتقيان في دلالتهما على مراجعة الكلام، والتخاصم والتنازع في مجاوبة الحديث<sup>(13)</sup>.

(□□) في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/1415هـ، 4، 1994م، ص: 12.  
(□□) انظر فضل الله، آية الله السيد محمد حسين في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك، بيروت، ط/1، 1414هـ، 1994م، ص7-8.  
(□□) السوداني، د نجيب محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بالجمهورية اليمنية، صنعاء، 1425هـ، 2004م، ص34-35.

والصحيح أن مصطلح الحوار ورد في القرآن بمعانٍ عدة منها

## 1 المجادلة:

فقد أورد ابن كثير في تفسيره للآية 34 من سورة الكهف ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي يجادله.<sup>(14)</sup>

## 2 المخاصمة:

فقد أورد ابن كثير في تفسيره للآية 34 من سورة الكهف ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي يخاصمه<sup>(15)</sup> وأيده في ذلك أبو حيان ذاكراً أنها قراءة عن (أبي) قال (وقرأ أباي يخاصمه - ثم علق بقوله - وهي قراءة تفسير)<sup>(16)</sup>.

## 3 التكاية:

وهذا المعنى ذكره الطبري في تفسيره للآية 34 من سورة الكهف بقوله ((يحاوره يخاطبه ويكلمه)).<sup>(17)</sup>

## 4 المخاطبة:

وهذا المعنى ذكره الطبري أيضاً كما في النص السابق.<sup>(18)</sup>

## 5 المساءلة:

وهذا المعنى تفرد بذكره الزمخشري في تفسيره للآية الأولى من سورة المجادلة حيث قال ((وتحاورك أي تسألك)).<sup>(19)</sup>

(□□) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ) تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط1، 1422هـ، 2001م، 113/3.

(□□) المصدر نفسه، 113/3.

(□□) أبو حيان محمد بن يوسف البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983م، 127/6.

(□□) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) جامع البيان في تفسير آي القرآن، دار الجيل، بيروت،

دت، 162/8.

(□□) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(□□) الزمخشري، أبو القاسم جار الله (ت 538هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل، دار عالم المعرفة، دت، 71/4.

## 6 المجابوة:

وهذا المعنى أورده القرطبي في قوله ((يحاوزه يراجعه الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجابوة، والتحاور التجاوب))<sup>(20)</sup> وشاركه في هذا المعنى الإمام الشوكاني.<sup>(21)</sup>

## 7 مراجعة الكلام:

وهو المعنى الأكثر اتفاقاً عليه بين المفسرين فقد ذكره الزمخشري<sup>(22)</sup> والفخر الرازي<sup>(23)</sup> وأبي حيان<sup>(24)</sup> والقرطبي<sup>(25)</sup> والشوكاني<sup>(26)</sup> وغيرهم

## أسس التعامل مع المسلمين والمعاهدين من أهل الكتاب:

إن التعامل مع المسلمين والمعاهدين من أهل الكتاب ينطلق من ثوابت إسلامية ترتكز على الآتي

- 1 الاعتراف بأن الاختلاف بين بني البشر في الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منح الإنسان الحرية والاختيار في أن يفعل ويدع، وأن يؤمن ويكفر ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف 29].
- ووظيفة المسلم تتحصر في مهمة البلاغ المبين قولاً وعملاً دون إجبار أو إكراه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس 99].

[□□] القرطبي، أبو عبد الله (ت 671هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار القلم، القاهرة، ط / 3، 1386هـ، 262/5.

[□□] الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة في علم التفسير، تحقيق سعيد اللحلم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، دت، 408/3.

[□□] الزمخشري، الكشاف، 390/2.

[□□] الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، دت، 126/11.

[□□] البحر المحيط، 127/6.

[□□] الجامع لأحكام القرآن، 262/5.

[□□] فتح القدير، 408/3.



2 وحدة الأصل الإنساني والكرامة الآدمية انطلاقاً من قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13] وقوله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

فالناس أكرمهم عند الله أتقاهم، أبوهم واحد، والرابطة الإنسانية بينهم قائمة شأوا أم أبوا، وهذه الرابطة تترتب عليها واجبات شرعية كالقيام للجنزة أيا كانت عقيدة صاحبها روى البخاري أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له إنها جنازة يهودي فقال أليست نفساً<sup>(27)</sup>.

3 التعرف ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13] فالتعارف أساس دعا إليه القرآن الكريم، وضرورة أملت لها ظروف المشاركة في الدار أو الوطن. 4 التعايش ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8] ولا شك أن التعايش ينطلق من المعية في المواطنة.

5 التعاون فهناك كثير من القضايا العامة التي تشكل قاسماً مشتركاً بين المسلمين وأهل الكتاب ويمكن التعاون فيها ومن ذلك: الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق كالعدل، والحرية، والمساواة، والصدق، والعفة

(□□) البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ) الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب من قام لجنزة يهودي، حديث رقم 1250، 1/441.

إيجاد القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية والتركيز عليها  
فالنصارى أقرب إلى المسلمين من غيرهم من اليهود، والمشركون،  
والملاحدين، والوثنيين، يقول تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ  
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة 82].

6 هوقف الإسلام من أهل الكتاب هو موقف الداعي من المدعو لذلك يجب  
أن يتأسس على الرفق ولين القول، وجواز الصدقة عليهم، وزيارتهم،  
وعيادة مريضهم.

7 المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب  
الضالين على ضلالهم فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا وإنما  
حسابهم إلى الله في يوم الحساب.

﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦٨) ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ  
فِيهِ تَخْتَلَفُونَ﴾ [الحج 68 - 69].

وقال تعالى ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَمَنْتُ  
[الشورى 15].

8 القرآن نهى عن موالاة غير المسلمين، لكن هناك ضوابط لهذا النص:

- 1 انتهى هنا عن موالاة جماعة معادية للمسلمين تحاد الله ورسوله ﷺ.
- 2 غير المسلم الذي لا يحارب الإسلام قد تكون مودته واجبة  
(كالزوجة الكتابية) والمعاملة باب للدعوة كما الزواج نفسه.

## الحوار مبدأ إسلامي:

لم تعرض النظرة القرآنية موضوعات محددة للحوار، فكل شيء قابل للحوار، فلا مقدسات ولا محرمات في الحوار، حتى في وجود الله، وشخصية النبي ﷺ، فنحن نعلم أن القرآن الكريم بسط كل هذه الموضوعات للحوار مع أهل الشرك والإلحاد؛ فقد عرض لكل المفردات التي اتهم بها النبي ﷺ في شخصه وفي رسالته هل هو مجنون أم عاقل؟ ساحر أم نبي؟ كاذب أم صادق؟ قرآنه بشري أم إلهي؟ ثم عالج القرآن كل هذه المسائل بكل موضوعية وعلمية

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل 103].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَوْا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل 24].

ولعل التحدي الكبير الذي رد القرآن عليه هو قولهم إنه لمجنون، فانظر كيف حاورهم في هذا المجال ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرْدَىٰ ثُمَّ تَنَفَّكُوا مَابِصَاحِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّهُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ 46].

إن الإنسان وهو داخل اتجاه فكري جماعي لا يستطيع أن يكون محايداً بل سيكون متابعاً للكثرة وللجو الصاخب، ولكن القرآن يدعوهم أن يبتعدوا قليلاً عن مثل هذه الأجواء وأن يتفرقوا اثنين اثنين أو فرادى واحداً واحداً ثم يفكروا في كلمات الرسول ﷺ وفي شخصه الكريم فسيرون عندها أنه ليس بمجنون.<sup>(28)</sup>

(□□) انظر فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، الحوار في القرآن الكريم، ص 12.

إن القرآن عرض الحوار في كل شيء حتى في أصول العقيدة ، فاللَّهُ عرض الحوار في مسألة اليوم الآخر ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ليس 78 - 79. بل إن الله تعالى حاور إبليس ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف 12] (29) وسمح للملائكة أن يحاوروه في خلق آدم (30) وذكر القرآن الحوار بين بعض الرسل والملائكة (31). والذين يرفضون الحوار، ويرونه تنازلاً عن مبادئ الإسلام، وهدماً لقاعدة الولاء والبراء نجيبهم بالقول ما معنى أن لا نتحاور مع من لا يؤمنون بعقيدتنا؟ معناه أن نقاطعهم، ولا نتواصل معهم، ولا نتحدث معهم، وبكل بساطة نتساءل إذاً كيف ننفذ إلى عقولهم، وقلوبهم، وحياتهم؟ وعلى هذا الأساس لا بد من الحوار وبالأخص مع النصارى الذين نعيش معهم على أرض مشتركة

### مشروعية الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب:

لا بد من التأكيد على أن مبدأ الحوار الإسلامي - المسيحي بالنسبة للمسلمين مقرر بالنص الصريح في القرآن الكريم ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران 64].

□□) وانظر سورة الأعراف الآيات 10 - 17، الحجر 28 - 44، الإسراء 61 - 65.

□□) سورة البقرة الآية 30.

□□) سورة هود 77 - 83 والحجر 61 - 77 والعنكبوت 33 - 35 وسورة الذاريات الآية 14 وسورة آل

عمران 38 - 41، ومريم 1 - 10.

فهذه دعوة مفتوحة للحوار والوصول إلى اتفاق حتى الحد الأقصى، وهو التوحيد في العقيدة

غير أن هذا الحوار أو هذا الجدل بل كل جدال يقتضي من المسلمين أن يمارسوه على أحسن أوجهه، فالله سبحانه وتعالى طالبنا بالأحسن في هذا المجال وليس بالحسن فقط قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت 46].

وهذه الآية فضلاً عن مطالبتها بالجدال بالتي هي أحسن، كأنها تقول للمسلمين أيضاً إذا لم يكن في جعبتكم الأسلوب الأحسن في الجدل فلا تجادلوا أهل الكتاب

وهي دعوة إذن للحوار مع أهل الكتاب، حوار يركز على الانطلاق من مواطن اللقاء في الفكر والرسالة، والقواسم المشتركة مع أهل الكتاب، وعلى هذا الأساس كانت الدعوة إلى بدء الحوار من قاعدة مشتركة في قضية الإيمان التي يمكن أن توحى بإمكانية اللقاء في القضايا الأخرى بكلمة أخرى، إن الحوار بالنسبة للمسلمين مقرر شرعاً، وبابه مفتوح دائماً على مستوى الوصول إلى كلمة سواء في العقيدة، كما أن الجدل له باب مفتوح يتسم بالتي هي أحسن.<sup>(32)</sup>

(□□) شفيق، منير حول الحوار الإسلامي المسيحي، مقال بمجلة الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي في بيروت، لبنان، العدد الأول شتاء 1415هـ، 1995م، ص 18.

## موضوعات الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب:

- (1) الموضوع الأول الذي يمكن أن يكون ضمن موضوعات الحوار، بل هو الموضوع الأول الذي ذكر في القرآن الكريم بوصفه فاتحة للحوار مع أهل الكتاب، هو وحدانية الله تعالى، بحيث يستطيع الجميع أن يتحاوروا في كل الأمور على أساس هذا الخط التوحيدي وهذا هو ما تعكسه الآية الكريمة ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 64] غير أن باب الحوار الذي يمس العقيدة هو أبعد ما يكون في عصرنا الراهن عن حسابات أغلب الهيئات المسيحية التي تدعو للحوار، فالغايات هنا مختلفة تماماً، لكن على المحاور المسلم أن يسجل نقطة فيما يتعلق برغبته في الحوار على مستوى العقيدة، حتى لو كان بلا صدى مباشر في حينه، ولعل ما يمكن أن يدور خارج جدول أعمال أي ملتقى للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب من لقاءات جانبية، قد تتيح فرصاً أكبر لعرض عقيدة التوحيد من وجهة النظر الإسلامية على المحاورين من النصارى
- (2) الموضوع الثاني الذي عرضته الآية 64 من آل عمران ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هو أن نتحاور مع النصارى لنصل إلى اتفاق في فكرة أن ((الإنسان واحد يعيش في موقع إنسانيته، ومن هذا الموقع فلا يتميز إنسان على إنسان آخر بسبب اللون، أو الجنس، والعرق، أو الأرض، أو المال، أو النسب))<sup>(33)</sup>.
- ومن ثم يمكن أن يثير المحاور المسلم إشكالية العلاقة السياسية بين الغرب المسيحي الاستعماري والعالم الإسلامي، وهي المسألة التي تحمل في طياتها

(□□) فضل الله في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي 27- 28.

مسائل السيطرة الاستعمارية، وحروب العدوان الدولي، والحصار التجويعي، والاستغلال الاقتصادي، ومحاولات سحق الآخر، وعدم الاعتراف له بحقه في الاستقلال الثقافي والحضاري، وحقه في التنمية، بل حتى الاستقلال الذي هلك له الشعوب الإسلامية حول العالم الغرب الاستعماري إلى شكل من أشكال الاستعمار غير المباشر، فانتهدك بذلك الاستقلال السياسي من خلال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي بما قاما به من ممارسات خطيرة في هذا الصدد

والغرب هو المسؤول الأول عن طبيعة هذه العلاقة بيننا وبينهم، ولهذا فإن الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب مطالب بمواجهة شجاعة لهذه الإشكالية.<sup>(34)</sup>

(3) الموضوع الثالث يمكن أن يطال الحوار موضوع المفاهيم الأخلاقية العامة التي يلتقي فيها الإسلام بالمسيحية في معظم المواطن من أجل وضع القاعدة المشتركة التي تحكم الواقع السلوكي للإنسان المسلم والمسيحي، وهذا الإشكال الأخلاقي اليوم يواجه القيم التي تتعلق بالعائلة والأخلاق كما يؤدي إلى الاصطدام بالمفاهيم الوثنية المعاصرة التي تلبس لبوس العلمانية اللادينية، وتتخفى وراء شعارات الحرية، والتقدم، والتحرر من أي قيد آت من الدين أو التقاليد.

وفي هذا الإطار تزداد الحاجة الملحة للأمم الإسلامية في أن تخوض مواجهة عالمية ضد هذه التحديات التي تتهدد العالم بأسره، ومن هنا يمكن أن تتشكل نقاط لقاء فيما بين المتحاورين في الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ويمكن أن يتحولوا إلى جبهة تعاون وتعاضد

(□□) انظر شفيق، منير حول الحوار الإسلامي المسيحي، مقال مجلة الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي، بيروت، لبنان، العدد الأول شتاء 1415هـ، 1995م، ص 21-22.

وقد شاركتُ في ورشة عمل بوزارة الإرشاد بالتنسيق مع وزارة الصحة بالسودان لإجازة منهج لتدريب القيادات الدينية والإسلامية في مكافحة الإيدز يومي 9 و10/9/2003م وقد تحدث السيد وزير الصحة السوداني يوم الافتتاح فكان من بين ما قاله أن مؤتمراً انعقد في نيويورك في الأمم المتحدة عن ((الإيدز)) وأن المشاركين من المسلمين سجلوا وقفة قوية وشجاعة من الكرسي الرسولي في الفاتيكان ضد جمعيات حقوق الشواذ الذين كانوا يطالبون بإعطائهم الحق في مزيد من الحريات ومن هنا يمكن أن تقوم جبهة الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب بمواجهة مشتركة ضد دعاة الإجهاض والإباحية التي نادى بها بعض المشاركين في مؤتمر السّكان في القاهرة وبيكين<sup>(35)</sup>.

(4) **الموضوع الرابع** من موضوعات الحوار كذلك تضافر الجهود للدعوة إلى السلام العالمي، ومن ثم الوقوف ضدّ سباق التسلح، وتكديس أسلحة الدمار الشامل، والتعاون لوقف كثير من الحروب الطائفية والقبلية والدينية المشتعلة هنا وهناك، والتعاضد ضدّ كل ما يعرّض حياة الإنسانية، والطبيعة، والبيئة للخطر، ومحاربة الفقر، والمرض، والجريمة، والاتجار بالمخدرات، وإنقاذ بعض الشعوب من التدهور المستمر، لاسيما شعوب إفريقيا.

(5) **الموضوع الخامس** من موضوعات الحوار أيضاً التوصل لتحديد تعريفات نهائية لبعض المصطلحات حتى لا تظل مائعة رجراجة تتدخل الأهواء والأيديولوجيات في تحديد معانيها، مثل مصطلح الإرهاب، والتطرف،

(□□) انظر جاد، د. الحسيني سليمان وثيقة مؤتمر السكان والتنمية (رؤية شرعية)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1417هـ، 1996م



والأصولية، وذلك من أجل اتخاذ مواقف مشتركة إزاءها، والوقوف ضد المتلاعبين بهذه المصطلحات لتحقيق سياساتهم الخبيثة.

#### (6) الموضوع السادس مناصرة المستضعفين في الأرض.

ومن النماذج المضيئة التي حدثت قبل البعثة حلف الفضول، يقول ﷺ ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجيب)) وفي رواية ( ما أحب أن أنكته وأن لي حمر النعم ))<sup>(36)</sup>.

فإذا كان اللقاء مع أهل الشرك من قريش في سبيل نصرة المظلومين استحسنه المصطفى ﷺ، ولو دعي إلى مثله في الإسلام لأجاب، فأولى أن تعقد الأحلاف مع النصاري فهم أقرب إلينا من اليهود، والملحدين، والمشركين لأجل نصرة المظلومين.

#### (7) التعاون لمواجهة دعاة المادية الذين ينكرون الغيب، ودعاة الإلحاد الذين

يجحدون وجود الله، ودعاة الإباحية الذين يروجون للعري، والتحلل، والشذوذ الجنسي، والإجهاض.

إن النقاط المشتركة بين المسلمين وبين النصاري كثيرة، والأخطار التي تتهددهم معاً ليست قليلة، ويمكن أن تشكل هذه القواسم المشتركة منطلقاً للتعايش، والتعاون، وأسساً للحوار

(□□) البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/، 1414هـ، 1993م، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، حديث رقم (4374)، 216/10. وأخرجه: البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ، 1994م، حديث رقم (12859)، 367/6.

## إشكالات معروضة أمام الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب:

وهناك إشكالات قد تحمل في طياتها بذور فشل الحوار، أو نجاحه بسبب

ما تثيره من حساسيات بين أطراف الحوار، ومن أمثلتها

1 التبشير المسيحي في المجتمعات الإسلامية، والذي تقوده بعض المنظمات الكنسية، وتتفق في سبيله الأموال الطائلة، وتعدّ له المشاريع العملاقة، وتؤسس له المنظمات التبشيرية، وترسل البعثات للقيام بمهمة التبشير في العالم الإسلامي، لاسيما في إندونيسيا وإفريقيا، وتعدّد المؤتمرات لتتكامل خططهم، وبرامجهم، وأعمالهم الرامية إلى إخراج المسلمين من دينهم<sup>(37)</sup>.

2 الاحتكاك بين التبشير المسيحي والدعوة الإسلامية في المناطق غير

الإسلامية وغير المسيحية، لاسيما في أجزاء عدة من القارة الإفريقية.

3 إشكاليات الجاليات الإسلامية التي تعيش في الغرب وما راح يثار ضدها من قضايا لاسيما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وتعالى

الصيحات هنا وهناك لمحاربة الإرهاب، ووصم بعض الجاليات الإسلامية

التي تستوطن الغرب بوصمة الإرهاب، بل وصم الإسلام نفسه بالإرهاب.

4 القضايا المفتعلة في العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في بعض الدول العربية مثل السودان ومصر وغيرهما.

(□□) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير الاستشراق

الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط/4، 1403هـ، ص: 27 وما بعدها

وانظر غراب، أحمد عبد الحميد رؤية إسلامية للاستشراق، منشورات المنتدى الإسلامي، لندن، ط/2،

د.ت، ص 50-54، وانظر جريشة، علي حاضر العالم الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/5،

1420هـ، 1999م، ص 41-43، وانظر خلف، د سعود عبد العزيز دراسات في الأديان، مكتبة

أضواء السلف، الرياض، ط/4، 1425هـ، 2004م

من الإشكاليات ما يثار من حساسيات في مسألة أهل الذمة على الرغم من أن الموضوع في الفهم الإسلامي السليم بعيد عن المبالغات الموجودة في أذهان النصارى عن هذا المصطلح.

فالذمة في اللغة تعني العهد والأمان والضمان<sup>(38)</sup>.

وفي الشرع تعني عقد مؤبد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم، وتمتعهم بأمان الجماعة الإسلامية وضمانها، بشرط بذل الجزية وقبولهم أحكام دار الإسلام في غير شؤونهم الدينية

أوهي بتعبير الدكتور وهبة الزحيلي "التزام تقرير الكفار في ديار الإسلام وحمايتهم والذب عنهم ببذل الجزية والاستسلام من جهتهم"<sup>(39)</sup>.

وهذا العهد يوجب لكل طرف حقوقاً، ويفرض عليه واجبات، وليست عبارة أهل الذمة عبارة تنقيص أو ذم، بل هي عبارة توعي بوجوب الرعاية والوفاء تديناً وامتثالاً للشرع، وإن كان بعضهم يتأذى منها فيمكن تغييرها، لأن الله لم يتعبدنا بهذا اللفظ، وقد غير سيدنا عمر لفظ الجزية رغم وروده في القرآن الكريم ((استجابة لعرب بني تغلب من النصارى الذين أنفوا من الاسم، وطلبوا أن يؤخذ منهم ما يؤخذ باسم الصدقة، فقال عمر: لا آخذ من مشرك صدقة، فلحق بعضهم بالروم فقال النعمان بن زرة: يا أمير المؤمنين إن القوم لهم بأس وشدة، وهم عرب يأنفون من الجزية فلا تعن عليك عدوك بهم وخذ منهم الجزية ب اسم الصدقة فبعث عمر في طلبهم فردهم وضعف عليهم من الإبل من كل خمس شاتين ومن كل ثلاثين بقرة تبيعين ومن كل عشرين ديناراً ديناراً ومن كل مائتي

(□□) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،

ط/1، دت، 3/311.

(□□) الزحيلي، دوهبة الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط/3، 1409هـ، 1989م، 6/442.

درهم عشرة دراهم وفيما سقت السماء الخمس وفيما سقى بنضح أو غرب أو دولاب العشر ولم يُخَالَفَ عمر فصار إجماعاً<sup>(40)</sup>.

فلا بأس أن يكون عهد المواطنة بديلاً عن مصطلح أهل الذمة فهذه القضايا وغيرها ينبغي عرضها في الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب بشكل صريح وواضح لإيجاد الحلول لها بعيداً عن المبالغات والافتعال الذي لحق بها، فإن استعصى الحل في بعضها فلا أقل من تهدئة بعضها.

### شروط الحوار:

من شروط الحوار

1 ضرورة توفير المعرفة في كل مفردات الفكرة التي يراد الحوار فيها لأن الحوار من موقع انعدام الثقافة، وفقدان الرؤية الواضحة، يحوّل المسألة إلى مهاترات وكلمات غير مسؤولة، وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمٌ إِلَّا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِسَلِيلِينَ﴾ اغافر 56.

إن المتحاورين في إطار الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب لابد أن يملكو روحية الحوار، وثقافته، ومصادقيته، وحركيته، لأن الذين لا يتمتعون بهذه الخصائص، سوف يتحوّل حوارهم إلى حالة من السباب، والشتائم، والكلمات السلبية

2 أن تتوفر إرادة الحوار، وإرادة الوصول إلى النتائج الايجابية بصدق وإخلاص

(□□) البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي : المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401 هـ، 1981 م، 1/431.

3

يجب ألا يقتصر هدف الحوار على تحسين العلاقات أو التوصل إلى نتائج واتفاقات على مستوى القيادات وإنما لابد أن تنزل نتائج أي حوار إلى عامة الفئات الوسطى، وإلى القواعد الشعبية العريضة ليحمل درجة أعلى من الرسوخ والمصادقية.

فالدكتور طارق المتري<sup>(41)</sup> يرى ((أن من نافلة القول أن الحوار إذا ما أريد له أن يغني العيش المشترك مدعو ألا يقتصر على رجال الدين، وأهل الصفوة من المثقفين، أو قادة الرأي، فهو قبل أن يكون حدثاً، أو مبادرة روحية، أو يمثّل ثقافة، لا تفعل فعلها الحق إلا في اشتعالها على من يحسبون أنفسهم ممثّلين لجماعاتهم، أو ناطقين باسمها، ومن لا يمثلون إلا أنفسهم، فتدخل عندئذ في نسيج حياة الناس اليومية، ونوعية علاقاتهم))<sup>(42)</sup>.

4

أن يكون الحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما أوضحت آنفاً إذ إن النص القرآني عام في كل جدل يمكن أن يحدث بيننا وبينهم، وأولى ما يتبع فيه حين يكون الجدل في أمر ديني فإنه يعصم من إيفار الصدر، ومن إيقاد نار العصبية، ومن زرع البغضاء إن عفة اللسان واجبة حتى مع المشركين يقول تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام 108]، وعلى هذا (بالتي هي أحسن) تقتضي ألا تسفه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك

(□□) سكرتير مكتب علاقات الأديان في مجلس الكنائس العالمي، وأستاذ جامعي من لبنان

(□□) متري، د. طازق عن الدين والعيش المشترك (موقع الحوار في تعزيز العيش المشترك)، مقال بمجلة

الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي، العدد 1، شتاء 1415 هـ، 1995 م، ص: 29.

- 5 أن يكون المحاور لاسيما من الطرف الإسلامي مثلاً للأخلاق الصالحة، كي يؤثر في غيره، ويشكل قدوة حقيقية لمن يحاورهم، فإذا كان المولى جل ثناؤه قد أراد لنا أن نكون شهداء على الناس، فإن ديننا لا يقبل شهادة المجروح في أخلاقه وسلوكه.<sup>(43)</sup>
- 6 الحوار قد يعني شيئاً من التنازل عن بعض ما نعتقد أنه نهائي ولا يقبل الجدل، تنازلاً مؤقتاً، وقد علمنا القرآن أن هذا التنازل قد يكون في أكبر اليقينيات عند الفرد، وذلك في سبيل عدم قطع خيوط التواصل مع الآخرين.<sup>(44)</sup>
- كما قال سبحانه ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَآكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ 24] إن هذه الصفة في تقرير الحال تدعو الخصوم إلى الأرضية المشتركة المحايدة التي تصلح لتبادل الرأي والنظر من غير أحكام مسبقة، وهكذا كما يقول أحدها لخصمه أحدهم مخطئ، مع علم القائل بأن الحق معه، فهو لا يشك في ذلك، ولكنه لا يريد أن يترك الخصم دون إقناعه بما هو مقتنع به.<sup>(45)</sup>
- علماً أن الآية هنا للإبهام<sup>(46)</sup>، فالمسلم لا يشك أنه على الحق والهدى ولكنه يبهم الأمر حتى يوجد منطقة صالحة للأخذ والرد

(□□) الإبراهيمي، د أحمد طالب حوار الحضارات، مقال ضمن كتاب العربي (49) الإسلام والغرب، منشورات مجلة العربي، الكويت، ط/1، 2002م، ص:120.

(□□) بكار، أد عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي منطلقات ومواقف، سلسلة الرحلة إلى الذات1، دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت لبنان، ط/3، 1421هـ، 2000م، ص:276.

(□□) يراجع الزمخشري أبو القاسم جار الله (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دت، 259/3، وقطب، سيد، في ظلال القرآن، دار دمشق، بيروت، لبنان، ط/8، 1399هـ، 1979م، 2905/5.

(□□) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحقيق د مازن المبارك ومحمد علي حمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط/5، 1979م، ص:87.

## من المستثنى من الحوار:

ابتداءً يجب أن نوضح أن القرآن وجهنا إلى إمكانية الحوار مع أهل الكتاب سواءً كانوا يهوداً أو نصارى، وقد حاور الرسول ﷺ نصارى نجران، وحاور يهود يثرب في مناسبات عدة فصلتها كتب السيرة، وكتب السنة لكن القرآن الكريم استثنى طائفة من أهل الكتاب من هذا الحوار حيث قال تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: 46].

فألله تعالى استثنى الظالمين من حركة الحوار، والظالمون هم الذين لا يمكن أن يتحدث الإنسان معهم باللغة الأحسن قال أهل التفسير "الذين ظلموا بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم"<sup>(47)</sup>. ومن هنا فالمستثنى من الحوار هم الظالمون من أهل الكتاب سواء من اليهود أو من النصارى

فالموقف السلبي من اليهود المحاربين للمسلمين لا ينطلق من يهوديتهم وانتمائهم للتوراة، بل من خلال عدوانيتهم، وتمردهم على الخط التوحيدي، والقيم الروحية التي نادى بها التوراة، وجاء بها موسى ﷺ، وعلى هذا الأساس حاربوا الإسلام منذ انطلاقتها، وتحالفوا ضد بني الإسلام مع المشركين الذين يختلفون معهم في العقيدة، ولم يدّخروا أو يوفروا جهداً في حربهم المعلنة

---

(□□) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المسمى تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، 42/7.

والخفية ضد الإسلام والمسلمين، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

وخلاصة القول إن سلوك اليهود المعتدين من خلال نقض المواثيق، وقتل الأنبياء، والفساد في الأرض، والظلم بدون مبرر، واحتلالهم أرض فلسطين، في العصر الحاضر، وقتل أهلها، وتشريدهم، إن سلوكهم هذا لا يشجع بل يجعل من المحال إقامة حوار معهم إلا في نطاق أن يتخلوا عن عدوانيتهم، وخططهم الماكرة، ويعيدوا أرض فلسطين، ويعود مهاجروهم من حيث جاءوا إن وجودهم في فلسطين حالة عدوانية لا شرعية لها، ومن هذا المنطلق فإن الحوار معهم لا ينسجم مع المفهوم الإسلامي للحوار فقد استثنتهم الآية 46 من العنكبوت

وما يسري على اليهود المعتدين المحاربين يصدق على بعض المنظمات الأصولية المسيحية أو الإنجيليين الذين أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين والإنجيليون يؤمنون بعصمة التوراة وبقبول المسيح منقذاً، وبقدومه الثاني، ومعتقداتهم لا تختلف عما يعتقدوه الأصوليون المسيحيون من اتجاه متشدد في مسائل العقيدة والإيمان بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس سواء العهد القديم أم الجديد (Old and new testament)، ويؤمن الإنجيليون بالنبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى استعادة إسرائيل تمهيداً للعودة الثانية للمسيح (Second Coming of Christ)، والإنجيليون يعدّون إسرائيل الواردة في العهد القديم هي إسرائيل المعاصرة في فلسطين، وأن ميلاد إسرائيل عام 1948م علامة على اقتراب العودة الثانية للمسيح وتمهيد له، وبناءً عليه فهم يرون ضرورة دعمها والدفاع عنها بكل الوسائل ويعدّون مباركتها من رض الله الذي يلعن معارضيهها ومنتقديها كما يزعمون - . ويقدر عدد الإنجيليين الأمريكيين بأكثر من 40 مليوناً من البالغين الراشدين من بينهم حوالي 30 مليون أصولي



مسيحي ينتشرون في معظم الطوائف البروتستانتية وكذلك بين بعض الكاثوليك<sup>(48)</sup>.

ولقد كتب الإنجيليون كثيراً عن هرمجدون بل صاروا يطلقون عليها نظرية الهرمجدون، حتى إن بيلي غراهام حذر في عام 1970م من أن العالم: "يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحو هرمجدون، وأن الجيل الحالي من الشباب قد يكون آخر جيل في التاريخ"<sup>(49)</sup>.

وينتظرون في أعقاب ذلك نزول المسيح ﷺ الذي يحكمهم ألف سنة ينعمون فيها بالسعادة - كما يزعمون - في عالم خالٍ من كل من يحمل غير عقيدتهم

ومتطرفو البروتستانتية هؤلاء، أو الأصوليون المسيحيون، أو أنصار الصهيونية المسيحية يدعون أن قيام دولة إسرائيل ثم احتلالها لكامل مدينة القدس عام 1967م هو علامة على اكتمال الزمان وإشارة للعودة الثانية للمسيح، حيث يتجمع تحالف دولي ويهجم على إسرائيل، إلا أن المسيح يعود

(□□) انظر لمزيد معرفة أفكارهم ومعتقداتهم: Hal Lindsey, the late Great planet Earth ( New York: Bantam Books, pp. 32 – 47= Listen America ( 1970.. Jerry Falwell – New York: Doubleday, 1980), p. 71.. وانظر: د يوسف الحسن: البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط / 1، 1990م، ص 10 – 12.

(□□) انظر: غريس هالسل: النبوة والسياسة، ترجمة محمد السماك، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، طبع دار هایل للطباعة، الخرطوم، السودان، ط / 1، 1989م، ص 49. ولمزيد من التفصيل حول موضوع هرمجدون انظر البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي للدكتور مهندس / محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة، القاهرة، ط / 1، 1421هـ - 2000م، ص 97 – 123، وانظر رضا هلال: =المسيح اليهودي ونهاية العالم، مكتبة الشروق، القاهرة، ط / 2، 1422هـ - 2001م، ص 42. وانظر سفر بن عبد الرحمن الحوالي: القدس بين الوعد الحق والوعد المفتري، مكتبة السنة، الرياض، ط / 1، 1414هـ - 1994م، ص 32 – 74 وانظر: سعيد أيوب، المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى، دار الاعتصام، القاهرة، ص 166 – 167.

بجيش من القديسين ليقضي على الكفرة ويحقق سيطرة شعب الله المختار على العالم ، ويحكم الأرض لمدة ألف عام بعد أن يعتنق اليهود المسيحية<sup>(50)</sup>.

إنّ الهرمجدون أو (الهولوكوست النووي) أو الحرب العالمية الثالثة هي المعركة المنتظرة التي يؤمن الإنجيليون بحتمية وقوعها ، ولهذا يروّجون لها على أوسع المستويات في الغرب ولقد صدرت في السنوات الأخيرة العديد من المؤلفات التي تتحدث عن حرب الهرمجدون ، ولاقى بعضها إقبالاً منقطع النظير لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(51)</sup>.

وعلي أيّ حال فإنّ التيار الإنجيلي البروتستانتي المؤمن أشد الإيمان بنظرية هرمجدون ، والذي يطلق على نفسه (التحالف المسيحي الصهيوني) أصبح يقود حركة مدّ ديني متنامٍ في الولايات المتحدة وبات لا يكتفي بالتدخل في السياسة ، بل يطمح في توجيهها ، ويطمح إلى الإمساك بزمامها<sup>(52)</sup> وهناك عدد من القساوسة يسيطرون على هذا التيار ويوجهونه إلى خدمة إسرائيل من منطلقات عقديّة<sup>(53)</sup>.

(□□) ياسر حسين : معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل ، دار الأمين ، الجيزة ، مصر ، ط / 1 ، 1413هـ - 1993م ، ص 6.7.

(□□) ومن هذه الكتب : "دراما نهاية الزمن" : أوترا لوبرتس. و"الكرة الأرضية ذلك الراحل العظيم" : هال ليندسي. و"أسرار نهاية العالم" ، مجموعة من العلماء.

(□□) عبد العزيز بن مصطفى كامل : حمّى سنة 2000م "نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين" ، كتاب المنتدى ، مؤسسة دار السليم للنشر ، الرياض ، ط / 1 ، 1420هـ - 1999م ، ص 163. 164.

(□□) ومن أمثال هؤلاء القس جيرى فالويل ، وهال ليندسي ، وبات روبرتسون ، وبيلي غراهام وغيرهم انظر : عبد العزيز بن مصطفى كامل ، "قبل الكارثة. نذير ونفير" (كتاب المنتدى) ، مؤسسة صلاح السليم للنشر ، الرياض ، ط / 1 ، 1421هـ - 2000م ، ص 207.

فمثل هذا التيار يبعُدُ أن نجد مع أنصاره أرضية صالحة للحوار والحال ما ذكرناه عنهم، ومن ثم قد يكون من المفيد صرف الوقت في حوار من يثمر الحوار معهم

## الخاتمة:

إن الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب أخذ يكتسب في هذه المرحلة الراهنة أهمية خاصة، لاسيما في ظل ظهور عدد من المنظرين لمرحلة نهاية التاريخ، أو انتهاء عصر الأيديولوجيات، أو مرحلة حرب الحضارات، أو صراعها، أو مرحلة المواجهة بين الإسلام والغرب لهذه الأسباب نشأت الحاجة لدى الطرف الإسلامي، والطرف المسيحي إلى الحوار لمواجهة جملة من التحديات الحاضرة كان من بينها ما شهده جدول أعمال مؤتمر السكان في القاهرة وبيكين من مواقف لاتجاهات إلحادية معادية للطرفين الإسلامي والمسيحي ويتطلب الحوار أولاً وقبل كل شيء الاعتراف بالآخر المختلف، واحترام حقه في تبني رأي أو موقف مختلف، والإسلام يقرّر الاختلاف بوصفه حقيقة إنسانية طبيعية، ويتعامل معها على هذا الأساس، وفي ضوء الدروس القرآنية نتلمس احترام الإسلام لحرية الاختيار ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وأن الإسلام لا يضيق بتنوّع الانتماء العقدي

وإذا كان التنوّع من طبيعة البشر فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى الوفاق، والتفاهم، والتعاون، ذلك أن البديل عن الحوار هو الحرب، ولأن خيار الحرب بلا شك سيتحول في حال اعتماده لحسم الخلاف إلى كارثة على المختلفين؛ فمن هنا جاءت أهمية الحوار بوصفه بديلاً عن الخيار الآخر وخلاصة القول إن مبدأ الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب الذي عرضتُ له في هذا البحث ليس إلا فكرة قرآنية، وتوجيهاً ربانياً حدده رب العزة، وحدّد أسلوبه، ومنهجه، وبعض مضامينه، كما أنه ليس موضوعاً سياسياً قائماً على

ردود الفعل، أو على أتباع للنصارى لكسب رضاهم، وإنما هو خطاب المولى جل ثناؤه للمؤمنين عسى أن يكون من نتائج هذا الحوار أن يأتي هؤلاء النصارى إلى كلمة سواء دعاهم رب العزة إليها، ولا شك أنهم في هذا الزمان أشد ما يكونون ضماً إليها، بل إن البشرية بأسرها اليوم ضامنة إلى سبيل الهداية وغذاء الأرواح، ولن يجدوا ذلك إلا في أحضان هذا الدين الكريم والشرعة السمحاء

### قائمة المراجع والمصادر:

#### المراجعة العربية:

1. ابن فارس، أبو الحسن (ت 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط/1، 1991م
2. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ) تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1، 1422هـ، 2001م
3. ابن منظور، جمال الدين (ت 711هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت.
4. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المسمى تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت
5. أبو حيان محمد بن يوسف البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط/ 2، 1983م.
6. الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق د مازن المبارك ومحمد علي حمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط/5، 1979م
7. أيوب، سعيد: المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى، دار الاعتصام، القاهرة.

8. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): الجامع الصحيح المختصر، تحقيق. د مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/3، 1407هـ - 1987م.
9. البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي: المطلع على أبواب الفقه، تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401 هـ، 1981م.
10. بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي منطلقات ومواقف، سلسلة الرحلة إلى الذات (1)، دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت لبنان، ط/3، 1421هـ، 2000م.
11. جاد، د الحسيني سليمان وثيقة مؤتمر السكان والتنمية (رؤية شرعية)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط/1، 1417هـ، 1996م.
12. جريشة، علي حاضر العالم الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/5، 1420هـ، 1999م.
13. الحسن، د يوسف: البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/1، 1990م.
14. حسين، ياسر: معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل، دار الأمين، الجيزة، مصر، ط/1، 1413هـ، 1993م.
15. حفني، عبد الحليم، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/3، 1995م.
16. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن: القدس بين الوعد الحق والوعد المفتري، مكتبة السنة، الرياض، ط/1، 1414هـ، 1994م.

17. خلف، سعود عبد العزيز دراسات في الأديان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط/4، 1425هـ، 2004م.
18. الخياط، عبد العزيز أدب الحوار، دار المجد، جدة، ط/2، دت
19. الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، دت
20. الزحيلي، دوهبة الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط/3، 1409هـ، 1989م.
21. الزمخشري، أبو القاسم جار الله (ت 538هـ) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار عالم المعرفة، دت
22. السوداني، د نجيب محاورات الأنبياء لأقواهم في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بالجمهورية اليمنية، صنعاء، 1425هـ، 2004م
23. الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة في علم التفسير، تحقيق سعيد اللحلم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، دت
24. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) جامع البيان في تفسير آي القرآن، دار الجيل، بيروت، دت
25. الطريحي، فخر الدين مجمع البحرين، دار الهلال، القاهرة، دت.
26. غراب، أحمد عبد الحميد رؤية إسلامية للاستشراق، منشورات المنتدى الإسلامي، لندن، ط/2، دت
27. غريس هالسل : النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، طبع دار هائل للطباعة، الخرطوم، السودان، ط/1، 1989م.

28. الفراهيدي، الخليل بن أحمد معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الهلال، القاهرة، دت
29. فضل الله، آية الله السيد محمد حسين في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك، بيروت، ط/1، 1414هـ، 1994م.
30. في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/1415، 4هـ، 1994م
31. الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، دت
32. القرطبي، أبو عبد الله (ت 671هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار القلم، القاهرة، ط/3، 1386هـ
33. محمد الحسيني إسماعيل : البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/1، 1421هـ، 2000م.
34. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير الاستشراق الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط/4، 1403هـ
35. هلال، رضا : المسيح اليهودي ونهاية العالم، مكتبة الشروق، القاهرة، ط/2، 1422هـ، 2001م.
36. يعقوب، إيميل قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط/1، 1978م.

### المراجعة الأجنبية:

37. Hal Lindsey, the late Great planet Earth ( New York: Bantam Books, =1970).
38. Jerry Falwell – Listen America ( New York: Doubleday, 1980).

### الدوريات:

39. شفيق، منير حول الحوار الإسلامي المسيحي، مقال مجلة الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي، بيروت، لبنان، العدد الأول شتاء 1415هـ، 1995م
40. القرضاوي، د يوسف "الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مجلة المسلم المعاصر، العدد (3)، رجب 1395هـ، يونيو 1975م
41. متري، د طارق عن الدين والعيش المشترك (موقع الحوار في تعزيز العيش المشترك)، مقال بمجلة الإنسان المعاصر، كتاب دوري يصدر عن مركز البيان الثقافي، العدد 1، شتاء 1415هـ، 1995م